

مَنْ  
هُوَ  
شَيْعَانَا  
؟

# الحاجة الى شفيع

قد اذنب الانسان الى الله تعالى ، الى خالقه ، وتمرد على الذي به يحيا ويتحرك ويوجد ، وخطاياها صارت فاصلة بينه وبين مصدر الحياة والبركات ، فاصبح في خطر الهلاك التام الابدي ، وصار الموت حقا عليه ، فوالحالة هذه ، ان لم يجد من يشفع فيه الى ربه يكون مصيره البوار لا محالة ، وكل انسان ذي عقل سليم يؤثر الحياة والبقاء على الموت والفناء ، ولا يستخف بالحياة الا الجاهل المجنون . ولكن ، من يشفع فينا حتى ننجو من الموت المحتم فنحيا ؟ انه لسؤال ذو بال يسأله برغبة قوية وشوق كل مذنب شعر بذنبه وتيقن ان خطاياها تنزل به الى الاعماق ، ان لم

يخلص منها ومن نتائجها ، فهل من شفيع يقدر ان يخلص ؟

اما الشفاعة في معجم اللغة فهي «السؤال في التجاوز عن المؤاخذاة من الذي وقعت الجريمة في حقه» ( البسنان ) ،

وهذا هو معناها في عرف الناس ، فهي التوسط لرفع العقاب عن مستحقه ، او لتخفيفه ، على ان هذا الضرب من الشفاعة يفترض قاضيا لا يعلم عن المذنب المتهم الا ما



السيد المسيح يحمل الصليب

يسمعه من المدعي عليه ومن شهود الاثبات او شهود النفي ، ويفترض ايضا محاميا مستعدا ان يخفي ما قد يعلمه من سيئات موكله ، ولا يذكر الا حسناته المزعومة ، وينتحل له الاعذار فيما صدر منه من ذنب تخفيفا للذنب فللعقاب . ان هذا هو معنى الشفاعة في عرف الناس وطبق ما نراه كل يوم في محاكم البلاد

بيد ن القاضي او الحاكم السماوي ، الذي قد اخطانا اليه تعالى ، والذي سنعطي له حسابا عن انفسنا في يوم الدين ، رومية ١٤ : ١٢ ، ليس كقاض ارضي لانه تعالى يعلم الانسان وجميع اموره علما كاملا ، ولا يحتاج الى شهود الاثبات او شهود النفي ، ولا يطلب شهادة حسن السير والسلوك من دائرة الشرطة ، لان « ليس خليقة غير ظاهرة قدامه ، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه امرنا » عبرانيين ٤ : ١٣ . وافصح المرئم في علمه تعالى قائلا : « يا رب قد اخترتني وعرفتني ، انت عرفت جلوسي وقيامي ، فهمت فكري من بعيد ، مسلكي ومربضي ذريت ، وكل طرفي عرفت ، لانه ليست كلمة في لساني الا وانت يا رب عرفتھا كلها ، من خلف وقدام حاصرتني ، جعلت علي يدك » مزمور ١٣٩ : ١ - ٥ ، فكيف ينجو المذنب من قاض هذه صفاته يرى خفاياه كالشمس امامه ؟

هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى ، اين هو الشفيع ومن هو الوسيط الذي يجسر ان يقف لدى هذا القاضي الحكيم والحاكم العليم ويقول في المجرم غير الحق الصافي ؟ واذا قال فيه الحق فما المنفعة ؟ وان لم يقل فيه الحق كما هو ، يكذب في الحال ويصير هو نفسه بدوره تحت قصاص من القاضي العليم ، « توبيخا يوبخكم ان حابيتم الوجوه خفية » ايوب ١٣ : ١٠ . كلا ، لا نستطيع ان نجد شفيعا يحاول اخفاء عيب شائن كان فينا ظاهرا لعيني القاضي ، او يأخذ في المبالغة في حسنات قد نطنها فينا ، ويعلم القاضي ان لا وجود لها الا في تخيلاتنا ، او ينتحل لنا اعدارا من شائنها ان نلقي باللوم على غيرنا بل على اققاضي نفسه ، شأن العذر غالبا ، ولا بد ان الشفيع والقاضي انما يريان رأيا واحدا في المجرم ويحكمان عليه حكما واحدا مبرما ، فماذا نفعل وكيف ننجو من الهلاك ؟

ان حاجة الانسان الاولى هي الى شفيع يكفر عن ذنبه تكفيرا ، فالقاضي الذي يعطي له الخاطيء حسابا هو هو الذي طرد الخاطيء من حضرته ومن

على ان شفاعة هذا الشفيح لا بد ان تختلف كل الاختلاف عما اعتدنا ان نراه كل يوم في المحاكم الارضية ، وعمما وصفه معجم اللغة ، ولا يطلب الشفيح من القاضي التجاوز عن المؤاخذة من الذي وقعت الجريمة في حقه ، ولا لزوم لتقديم مثل هذا الطلب اذ ان القاضي ، من تلقاء نفسه ، قد تجاوز عن المؤاخذة من المجرمين واعطاهم فرصة للتوبة لعلمهم يخلصون ، وانما يقدم الشفيح اولا كفارة عن الجاني ، كما مر بنا ، « وهو كفارة لخطايانا . . . بل لخطايا كل العالم ايضا » وليس ان يقدم هذه الكفارة في وقت الدينونة ، لانه قد فعل وكمله اذ مات على الصليب كفارة لخطايا العالم اجمع ، وكذا الامر في شفاعته ، فهي لا تصير في وقت المحاكمة فقط ، بل تسبقها وتعمل استعدادا لها ، وهي تمكن المذنب من الظهور امام كرسي القضاء خاليا من كل عيب او ذنب ، وحين يقف الخاطيء المفدي المخلص امام القاضي لا يرى فيه بثاقب بصره اقل عيب او نقص بل يراه كاملا ، لان الشفاعة السماوية تستأصل عيوب الذين يقبلونها ، ولا تعذرهما ، وتعمل لتبرير المجرم التائب شرعا وفعلا معا ، ثم تحفظه في حالة البر هذه ، لانه « القادر ان يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم امام مجده بلا عيب في الابتهاج ، له المجد من الان الى كل الدهور ، آمين »  
يهوذا ٢٤

ان الشفيح السماوي ليعمل عمله في الخاطيء المذنب ليذهب بخطاياها بعيدا عنه ، فهو قد كفر عنها بموته ، وله الحق ان يغفرها لكل من يطلب ذلك باخلاص وتوبة صادقة ، ثم يعمل في تفيير سجاياه وقلبه ويهبه بره ، لا يحاول الشفيح ابدا ان يغير موقف الله من الخاطيء . كلا ، لان الله تعالى لا يتغير وهو ايضا يحب الانسان محبة جملة ، كما قال : « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » ٣ : ١٦ ، « ولست اقول لكم

الحياة لتعديده الوصية ، وكيف يقبله ثانية دون ان يقدم كفارة عن تعديده ، لان الله واحد ، لا تغيير له تعالى البتة ، فلا يطرد الانسان من الجنة اليوم لزلة ارتكبها ، ثم يعيده اليها غدا دون ما تكفير عن الزلة ، ولا يستطيع الخاطيء ان يكفر عن ذنبه الا بالموت ، « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » عبرانيين ٩ : ٢٢ ، « واجرة الخطية هي موت » رومية ٦ : ٢٣ ، « وهو موت ابدى لا قيامة منه ، لذلك نقول ان حاجة الخاطيء الاولى هي الى شفيح يقدم عن ذنبه كفارة ، وان لم يجده فلا مناص له من الهلاك

لا يقدر ان يكفر مذنب عن مذنب آخر ، لانه قد اضاع حياته بذنبه فهي ليست له بعد حتى يدفعها فداء عن غيره ، فهو اذا مات مات عن ذنب نفسه وهلك ، لانه كيف يوفي دين غيره من دينه ، وما له غير الدين . كذلك ايضا لا يشفع المذنب في مذنب آخر ، « ان الفاجر لا يأتي قدامه » ايوب ١٣ : ١٦ ، وجميع اولاد آدم هم فجار ، كما قال النبي داود :  
« اكل زاغوا معا ، فسدوا ، ليس من يعمل صلاحا  
ليس ولا واحد » مزمو ١٤ : ٣



السيد المسيح يلبي طلب المرأة ويشفي ابنتها

ولان حاجة الخاطيء الاولى هي الى شفيح يكفر عن ذنبه ، ولا سبيل الى خلاصه الا بمثل هذا الشفيح ، ولما كان الله تعالى يريد خلاص الانسان فقد دبّر له تدبيرا ، كما قال : « ان اخطا احد فلنا شفيح عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضا » ١ يوحنا ٢ : ١ و ٢ ، واذا سأل الخاطيء : هل يستطيع هذا الشفيح ان يخلصنا من القضاء المبرم ؟ يجيبه الله قائلا : « فمن ثم يقدر ان يخلص ايضا الى التمام الذين يتقنون به الى الله اذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم » عبرانيين ٧ : ٢٥ ، شفيعنا هو يسوع « البار » وهو « كفارة » لخطايا كل العالم له المجد والاكرام الى ابد الابد



السيد المسيح يصلي في بستان جثسيماني

« وقال الرب لموسى  
حتى متى يهينني هذا  
الشعب ، وحتى متى  
لا يصدقونني بجميع  
الآيات التي عملتها في  
وسطهم . اني اضربهم  
بالوبأوايديهم واصيرك  
شعبا اكبر واعظم  
منهم . فقال موسى  
للرب فيسمع المصريون  
الذين اصعدت بقوتك  
هذا الشعب من  
وسطهم ويقولون  
لسكان هذه الارض  
الذين قد سمعوا انك  
يا رب في وسط هذا  
لشعب الذين انت يا  
رب قد ظهرت لهم

عيننا لعين وسجابتك واقفة عليهم وانت سائر امامهم بعمود سحب  
نهارا وبعمود نار ليلا . فان قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم  
الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين لان الرب لم يقدر ان يدخل  
هذا الشعب الى الارض التي حلف لهم قتلهم في القفر . فالآن لتعظم  
قدرة سيدي كما تكلمت قائلا الرب طويل الروح كثير الاحسان  
يفغر الذنب والسيئة ولكنه لا يبريء بل يجعل ذنب الآباء على الابناء الى  
الجيل الثالث والرابع . اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما  
غفرت لهذا الشعب من مصر الى ههنا . فقال الرب قد صفحت حسب  
قولك « عدد ١٤ : ١١ - ٢٠ . وهكذا صلى هذا الرجل العظيم التقى

اني اطلب من الآب من اجلكم ، لان الرب نفسه يحبكم » يوحنا ١٦ : ٢٦ و ٢٧ .  
يقف القاضي والشفيع من الخاطيء موقفا واحدا . وليس انه تعالى لفرط  
محبهه يسمح بدخول خاطيء واحد الى الجنة والحياة ، كلا البتة ، او انه  
عزوجل يتساهل من مذنب لاحوال استثنائية وجد نفسه فيها ، ولكنه من  
الظي حبه اوجد لنا الشفيع الذي صنع لنا الكفارة والذي هو على استعداد  
ان يخلق الخاطيء خايقة جديدة ، ثم يعيده الى حضرة الله والى التمتع بالحياة  
والسعادة الابديتين ، هذا اذا اراد الخاطيء ان يقبل الكفارة والتجديد المقدمين  
له مجانا ، واما اذا لم يقبل فماذا يعمل له الله بعد ؟ هذا الشفيع الذي انت في  
امس الحاجة اليه ، هو ولا سواه مستعد ان يشفع فيك عند ربك وهو قادر  
ان يعمل عمله فيك مهما كانت حالتك سيئة ، ولا يشترط عمله الا رغبتك  
الشديدة في التخلص من عيوبك واهلاك بسببها وتسليم نفسك له ليعمل فيك  
ما يزم ، فالامر مفروض لك ومتوقف على ارادتك فيه . الا تريد الحياة  
الابدية . لا تتوان لانه يعمل اليوم ، ويأتي وقت ، وكل آت قريب ، حين ينتهي  
عمله وكثيرون يدخلون ، كما قال : « اجتهدوا ان تدخلوا من الباب الضيق ،  
فاني اقول لكم ان كثيرين سيطلبون ان يدخلوا ولا يقدرن . بعدما يكون  
رب البيت قد قام واعرق الباب وابتدتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين  
يا رب اسمح لنا ينجيب ويقول لكم لا اعرفكم من اين انتم » لوقا ١٣ : ٢٤ و ٢٥ ،  
سارن هو الوقت المناسب . لا تتأخر

وهذه الشفاعة الناجحة هي غير الصلاة لاجل الآخرين . لنا وسيط واحد  
فقط كما قال الرسول بولس ، ١ تيموثاوس ٢ : ٥ ، وكل انسان يقدر ان يصلي  
من اجل اخيه وصلاته تقبل وتستجاب ، وامرنا يعقوب الرسول قائلا :  
« اعترفوا بعضكم لاجل البعض لكي تشفوا . طبة البار تقتدر كثيرا في فعلها »  
يعقوب ٥ : ١٦ ، ثم استشهد بايليا النبي قائلا : « كان ايليا انسانا تحت الآلام  
مثلنا وصلى صلاة ان لا تمطر فلم تمطر على الارض ثلاث سنين وستة اشهر  
ثم صلى ايضا فاعطت السماء مطرا واخرجت الارض ثمرها » يعقوب ٥ : ١٧  
و ١٨ . وقال صموئيل النبي : « واما انا فحاشا لي ان اخطيء الى الرب فاكف  
عن الصلاة من اجلكم بل اعلمكم الطريق الصالح المستقيم » ١ صموئيل ١٢ :  
٢٣ ، وتوسط موسى لاجل بني اسرائيل وطلب لهم المغفرة واجابه الى طلبه ،

من اجل شعب كانوا عازمين على ان يرحموه بالحجارة ، واجابه الرب الى طلبه

وقد امرنا يوحنا الرسول قائلا : « ان رأى احد اخاه يخطيء خطية ليست الموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت » ١ يوحنا ٥ : ١٦ : وقال السيد المسيح : « صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات » متى ٥ : ٤٤ و٥٥ . فمن الواجبات المسيحية ان نصلي بعضنا لاجل بعض ، ومن الخطية ان نهمل هذا الواجب ، وهذه الصلاة تعود علينا نحن بفائدة عظيمة كما قال : « ورد الرب سبي ايوب لما صلى لاجل اصحابه » ايوب ٤٢ : ١٠ ، وانما هذه الصلاة هي غير الشفاعة التي يقوم بها وسيطنا الوحيد السيد يسوع المسيح الذي وحده قد كفر عن ذنوبنا بموته والذي وحده يقدر ان يخلصنا من جميع خطايانا بقوته واقتداره ، « اذ هو حي في كل حين ليشفع فينا » قادر ان « يوقفكم امام مجده بلا عيب في الابتهاج » له المجد والعظمة الآن والى كل الدهور . آمين



أما وقد فرغت من قراءة هذه الكراسة فإنه يسرنا أن نرسل لك مجاناً مطبوعات  
أخرى مثلها . اكتب إلى أقرب عنوان لك من المتأولين التالية :

ص.ب ١٠١١ و ٥٩٥ و ٢٠٢٠ - بيروت - لبنان ، ص.ب ٧٧ بغداد - العراق  
ص.ب ٢٦٠ - عمان - الأردن ، ص.ب ١٢ هيليو بوليس - مصر